هشام منير ×

كتب، مؤخرا، د. خالد السلطاني مقالا بعنوان "بغداد تلك ..الصور المنسيّة"، وقد أثار أطيافا كثيرة تؤكد الافتقار إلى الوثائق الحقيقية، الصحيحة والمناسبة في التسلسل التاريخي لإظهار التطور المعماري التاريخي في المراحل المختلفة في مناطق بغداد وما حولها. كما نشر المعمار نفسه مقالا آخرا حول الكتاب الهام للدكتورة غادة السلق، الذي أرى أنه عمل رائع. إني اشعر بالحاجة إلى إبراز وإظهار أحد العناصر الهامة في المدينة والذي يشكل قوة دافعة ومحفّزة ليأخذ الأولوية، وليكون أولوية في اعتبارات التخطيط الحضري والمدينة ككل. إنه نهر دجلة وهو قلب المدينة، إن بغداد دون هذا النهر الذي يكمّلها هي مدينة بلا قلب. إن دجلة الخير هو المَعلم التاريخي العظيم الذي يحيي ذكرى خلود ما بين النهرين. إن دجلة الخير جزء أساسي من بغداد في جميع مراحل تاريخها، في فترات ازدهارها عندما كانت المركز الثقافي في العالم ، وفي فترات الأحداث المأساوية حيث كانت إحدى المدن التي عانت الاحتلال أكثر من غيرها في العالم. إن دجلة الخير هبة مقدسة للعراق، ووديعة على العراقيين أن يجلوها ويحترموها ويفتخروا بها على مدى تاريخ وادي الرافدين، ميسوبوتاميا) في الكتب والقصص والحكايات.(لقد دعت لجنة التراث في اليونسكو) منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (إلى إنقاذ التراث العالمي لنهر دجلة في بلاد ما بين النهرين. إن النهر يعاني من السدود التي أقامتها عليه الدول المجاورة وأخرى غيرها قد قطعت وأغلقت الروافد التي تغذي دجلة، وبذا خفضت منسوب مياه النهر. إن في بغداد اليوم، ونتيجة لما تقوم به الدول المجاورة، مناطق يمكن أن تقطع النهر فيها سيراً على قدميك. كما أن هناك متجاوزين على النهر وأكتافه بقيامهم بملئها وخلق جزر فيه . إن هذا وضع رهيب ومأساوي يزيد من المشاكل التي يعانيها النهر . إن ذلك كله يتطلب وضع لوائح وتعليمات ولا بد من تنفيذها في الحال لوقف تلك التدخلات والحيلولة دون وقوعها على ضفاف النهر.إن إعادة إحياء دجلة الخير والحفاظ عليه، هو الواجب الأهم والأكثر إلحاحا اليوم، ويجب أن يكون أحد بنود خطة بغداد الكبرى. إن عملا كهذا ضروري لخدمة الشعب ككل، وسيكون أساس تنوع معالم المدينة الثقافية والترفيهية وغيرها.وأرى أن من الضروري الآن، لفت انتباه الحكومة وضمائر الناس إلى هذه القضية خاصة أن هناك دراسات يمكن استخدامها كمرشد ودليل. إن أمانة العاصمة قد أصابت في دعوتها مستشارين لتقديم دراسات لتطوير ضفتي النهر. وأعتقد أن إعادة إحياء النهر نفسه له الأولوية نظرا لكونه المَعلم الأول في بغداد الكبرى.وبداية، إن المهمة الأكثر إلحاحا التي يجب القيام بها في الحال لإعادة الحياة إلى دجلة الخير ، هي البدء في تطوير ضفتي النهر. لقد قام مكتبنا في الماضي ببناء الكثير من البيوت على النهر، وكنا نتصل بدائرة الري لتزويدنا بالمعلومات المطلوبة حول المستويات الآمنة للفيضانات في المواقع المختلفة. وكانوا أيضا يحددون مقدار عرض النهر حسب ما وضعته دراسة أجنبية كانت إما فرنسية أو هولندية ، وكان الهدف من ذلك الحفاظ على مستوى مجرى النهر ثابتا. وقد بدأت أعمال التنظيف ورفع الوحل من قاع النهر، ولكن الحروب حالت دون استمرارها، ويجب أن تعود مهام التنظيف هذه لتشمل المدينة كلها على ضوء الخطة الرئيسية التي قام بإعدادها مستشار ياباني لبغداد الكبرى. وعندما كان المعمار رفعت الجادرجي مستشارا لأمين العاصمة، دعا عددا من المستشارين العالميين لدراسة واقتراح تطوير ضفة النهر من شارع أبي نواس حتى الجسر المعلق، ولتشمل الدراسة، التطوير والحفاظ على منطقة البتاوين حتى شارع السعدون كجزء متمم للدراسة، مع العلم أن لشارع أبي نواس طبيعته المتميزة من تاريخ بغداد.لقد تم تكليف مكتبنا بالاشتراك مع "آرثر إريكسون" الكندية، لتقديم دراسة عن المشروع. وهنا أريد ذكر أن مشروع تطوير النهر قد أخذ في الاعتبار تعليمات دائرة الري بكافة أوجهها لأهميتها في الحفاظ على حجم وسعة النهر والتي تهدف إلى إنشاء سد لتثبيت مستوى النهر من جوانبه وعلى ضوئها يتم تطوير ضفتي النهر وتهذيبهما.

إن معظم عواصم العالم تهتم بإظهار نهرها ليصبح عنصرا مهما من معالم المدينة.

إنه كنهر النيل في القاهرة الذي يبقى ويحافظ على مستواه ثابتا، إضافة إلى ما يقدمه للمدينة وسكانها من خدمات ترفيهية، إنه أحد المعالم السياحية لارتباطه بتاريخها كما لدجلة ببغداد. إن تطوير ضفتي النهر يعطي النيل بهاءً وروعة، ويجب أن نكون قادرين على القيام بما هو أفضل من ذلك نظرا لما تتيحه لنا التقنيات الحديثة.إن ذلك كله سيكمل وضع العراق كأحد البلدان الجذابة في العالم ،صاحبة المعالم الأثرية التي تغطي مساحات واسعة فيها وخاصة بغداد، مذكرا بوادي الرافدين التاريخي. إن اسم بغداد بحد ذاته هو أحد عوامل الإعجاب.

× مهندس استشاري، وأكاديمي

تلويحة المدى

■ شاكر لعيبي

الشاعر الأميّ والفنان المفاهيميّ

يلاحق بعضنا المفارقات الثقافية ويحاول أن يكشفها للملأ، لأنها تُجلي حقيقة الأمر المقصود أكثر من الأفكار النظرية المجرّدة.

هنا مفارَقة جديدة بشأن الجدل، الدائر أو المضمر، عن أهمية أو عدم أهمية المصادر المعرفية والفكرية التي يمكن أن ينهل منها الشعراء ويغتذي بها شعرهم. يزعم المضمر، لكن المقال صراحاً أيضاً في مناسبات عدة، أن التعمق بضروب المعرفة يجرح الحسّاسية الشعرية ويشحن الشعر بتجريد ثقيل الظل، ويبعده عن طلاقته وانسيابيته وشفافيته. يصير والحالة هذه أقرب إلى التفكير العقلي الذي لا يترك إلا القليل من الفضاء لحرية الخيال. من هذا المنطلق بدأنا نقرأ مديحاً "للشاعر الأمي" الضارب بأحلام يقظته والذي يستنبط من مكان خفي في كينونته الشخصية كل طاقاته الأدبية. الشعر إذنْ رديف للطفولة، للغريزة المبرأة من عيوب العقل وللهيمنان في العالم دون التوقف طويلاً أمام السببيات والعلل المنطقية الصارمة. في هذا الموقف شيء من التناقض إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار فكرة بودلير الذاهبة ظاهرياً بذاك الاتجاه. إذ عندما قدّم الشاعر الفرنسي تعريفاً ممكناً للشعر على أنه "الطفولة المستعادة عمداً" أو قصداً أو شيئاً من هذا القبيل، فإنه كان يضع للتقصُّد الواعي، الصاحي مكاناً بارزاً، وهو ما يُنسى أحياناً.

من جهة أخرى لا تبرهن وضعية بودلير مثقفاً من الطراز الرفيع، وناقداً فنياً، ومنظراً وجمالياً بالمعنى الفلسفي على أي عفوية. وضعيته بصفته مثقفاً تناهض الأمية حتى بالمعنى العميق المُمتدَح اليوم في بعض الكتابات العربية.

على المستوى التشكيليّ علينا أن نصاب بالدهشة، ونحن نجد أن خيرة العارفين في ثقافتنا يطالبون الفنانين بأن يمتلكوا، منذ البدء، مجموعة من المفاتيح المفهومية التي يشتغلون عليها، طالما أن الفن، ولنقل فن الرسم، لم يعد محض محاكاة بارعة للواقع أو تلوينا فاخراً مُغْوياً (هكذا الشعر بالمناسبة وإنْ بأدواته). نريد من الرسّامين أن يحتضنوا وعياً جمالياً عميقاً لا يتهيأ إلا بالتعمُّق في الدرس الفكريّ والجماليّ الضارب مرة بالفلسفة ومرة بتاريخ الفن، من بين معارف معقدة أخرى. جميع معاهد الفنون في العالم والعالم العربي تطالب طلابها بهذه المفاتيح السحرية التي من دونها نسقط، على ما يبدو، بالسذاجة التشكيلية. النقد في العراق، يقدّم للفنان الراحل شاكر حسن السعيد مديحاً عالي الصوت مُجْمعاً عليه، وبالضبط لحالته التشكيلية المشبعة بالمعارف التاريخية والصوفية والثقافية. هذه مفارقة حقيقية. كيف نطالب أن يكون الشاعر أميّاً بينما نثمّن الفنان المثقل بالمفاهيم والمعارف المعقدة؟.

الإجابة ليست معقدة، وبعضها راسخ في تاريخ الشعر العربيّ بوصفه وحياً وإلهاماً غامض المصادر. بعضها الآخر يتعلق بالوعي السائد الذي صار شعبياً وأمياً بالمعنى الأدنى، حتى ولو تقاسمه مثقفون وكتاب وصحفيون، وهذا يريد من الشعر متعة سهلة، عاطفية، وجملة تهز السامع وتلعب على المفارقات الخارجية، تُطْرب، ومن دون وظيفة أخرى غير الملامسة السريعة للمشاعر، وظيفة من طبيعة تُبْعد عن حقل اشتغالها، بأكبر قدر ممكن، كل ما يمتّ إلى التأمل العميق بصلة. هذه المطالبة وتلك الوظيفة للشعر لا يوجد ما يماثلها تشكيلياً عندما نستدعي مثال شاكر حسن السعيد.

بطبيعة الحال، ليس المقام هنا مقام المديح للعقل البارد في الشعر، لفقدان الروح الجامح، لغياب الطراوة، لخشونة المخيلة وفحولتها، ولا تثمينا "لناطح صخرة لا هو أوهنها ولا أوهى قرنه الوعل". هناك شيء في المسألة أكثر تعقيداً من التبسيط الذي تُطرح فيه عادة. يبدو أن الشاعر الحقيقي مثل الماشي على الحبل في السيرك: يمْسك وعياً فكرياً في غاية الدقة في طرف من عصاه، وفي طرف آخر جُمُوْحا لا متناهياً. ألا يبرهن أبو الطيب المتنبي على لاعب كبير في سيرك العالم، حتى أنه اتهم بأنه يحوز الطرف الأول من العصا، واتهم في الوقت عينه بأنه يمسك بالطرف الآخر منها: تخييل مفرط مقابل حضور المصطلح الفلسفي الإغريقي في شعره.

كل هذا قد يؤيّد ما كان يقوله الشاعر نيرفال: "لنمتدح في الحيوان وعياً فعالاً".

موسيقى السبت

متابعة

الرباعية الإمبراطورية ليوزف هايدن والنشيد الوطني الألماني

ثائر صالح

ألف فرانس يوزف هايدن هذه الرباعية سنة ١٧٩٧، وسميت بالإمبراطورية لأنها ضمت نشيد "ليحمي الرب الإمبراطور فرانس" والذي ألفه هايدن سابقاً على كلمات الشاعر لورنتس ليوبولد هاشكا (١٧٤٩-١٨٢٧). واستعمل هذا النشيد رسمياً من قبل الإمبراطورية النمساوية (ولاحقاً الإمبراطورية النمساوية المجرية بعد ١٨٦٧) لغاية انتهاء الإمبراطورية في ١٩١٨.

ثم جاء الألمان واتخذوه نشيداً وطنياً سنة ١٩٢٢،وقدوضع كلماته فون فالرسليين (١٧٩٨-١٨٧٤) سنة ١٨٤١، على لحن نشيد هايدن يقول:

"الوحدة والعدالة والحرية
للوطن الألماني!
لنناضل جميعاً من أجل ذلك
بكل أخوّة وبقلب واحد ويد واحدة!
الوحدة والعدالة والحرية
هي ضمان الرخاء؛
ازدهر ببركات هذا الرخاء،
أزدهر يا وطننا الألماني!"

والشطران الأخيران، ويمثلان اللازمة، يختلفان عن لازمة المقطع الأول الذي يتكرر فيه مطلع القصيدة "ألمانيا، ألمانيا فوق كل شيء، فوق كل شيء في العالم". ونعرف أن جمهورية ألمانيا الديمقراطية قد وضعت لنفسها نشيداً من كلمات برتولت بريشت لحنه الموسيقار هانس آيسلر في ١٩٤٨.

ذاته. ومطلع النشيد "المانيا، ألمانيا فوق كل شيء"، ويتكون من ثلاثة مقاطع. وقد أقر رئيس جمهورية فايمار فريدريش إيبرت هذا النشيد ليكون النشيد الوطني (القومي) الألماني، وأقر كذلك علم الجمهورية الأحمر والأسود والأصفر الذهبي، وهو علم الثورات الليبرالية مثل ثورة ١٨٤٨. وكان أيبرت يدعو إلى استعمال المقطع الثالث فقط، في حين استعملت ألمانيا الهتلرية لاحقا المقطع الأول "ألمانيا، ألمانيا فوق كل شيء".

وعادت ألمانيا الاتحادية إلى استعمال النشيد الوطني ذاته سنة ١٩٥٢، وقد نبذ المقطع الأول واستعمل المقطع الثالث فقط، وهو

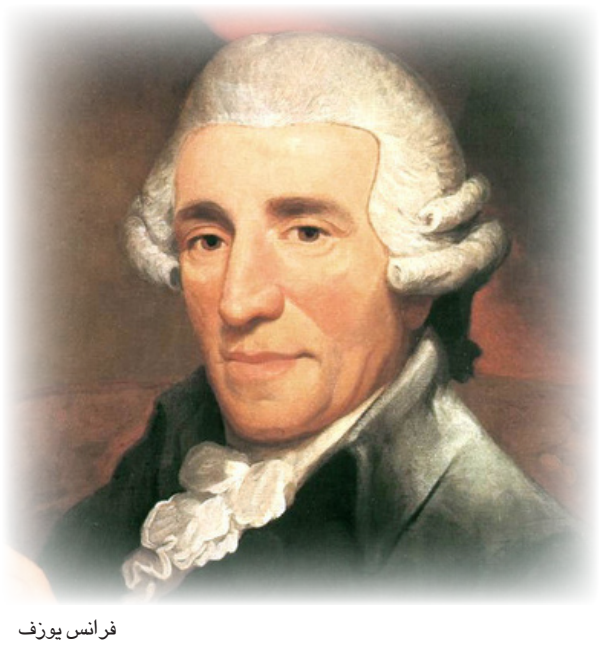

فرانس يوزف

التشكيلي إبراهيم رشيد في اتحاد الأدباء
الرسم مابعد ١٠٠ درجة مئوية

المدى الثقافي

ظل صدمة الحروب والتحولات الكبرى خلال العقود الماضية هاجسا للفنان التشكيلي المعاصر .. حيث شكلت محور اهتماماته ، وتعد استشراق مستقبلي للثقافة البصرية التي يحتاجها الانسان المحاصر بالمتغيرات ، ولاننا تعودنا أن نرى العالم وهو مجسم، ونراه وهو متأصل، ونراه وهو تابع وخاضع، الآن بدأت تتفكك هذه الالتباسات أمام العالم وهو متحول وهو يتخلص من الكثير من الأشياء التي كرست تابعية الإنسان للأفكار الكبرى وللمرويات الكبرى، فالإنسان والصورة والهوية والمعنى واللغة هي الآن عارية أمام هذه التحولات، فكل هذه الأفكار وكل هذه المجترحات سيقدمها لنا الفنان التشكيلي والبصري إبراهيم رشيد.

بهذه الكلمات قدم الناقد علي حسن الفواز ضيف اتحاد الادباء ، الفنان التشكيلي المغترب إبراهيم رشيد العائد الى راض الوطن بعد ما يقارب الثلاثة عقود من الغربة ، وابراهيو رشيد الذي برز في الثمانينات كواحد من ابرز الوجوه التشكيلية الشابه في العراق هاجر مرغما وهو يحمل أوجاع عقود مغمسة بالآلام والفجيعة، حيث حطت به محطات الترحال في السويد ، فشارك في العيد من الأعمال المهمة هناك، معتمدا على أن الفنان التشكيلي يجب أن تكون له بصمة واضحة خاصة به من خلال المشاركات الكبرى خارج منطقة " الغاليرهات "

قبل الحديث عن تجربة الغربة قدم رشيد فيلما عرض فية مجموعة من تنتمي إلى زمن الموت والحروب التي حملها في جمجمة اللون، مجسدا فيها "زمن الحرب" وجاءت تلك اللوحات مغمسة بالألم .

مضيفا : لقد أنجزت في السويد مشاريع فنية عدة ، ففي هجرتي ركزت فيها على المراكز الفنية التابعة للدولة ، وهي المتاحف الفنية التي تقدم التجربة الفنية على مستوى راق ، وسأعرض لكم فيلما من إنتاج التلفزيون السويدي، بعنوان "ما بعد ١٠٠ درجة مئوية " وهي النقطة الفاصلة بين التبخر والغليان ، وهذا يعني أن النقطة التي تفصل بين الموت والحياة أو بين السائل والغليان، ربما تكون هي رمز لحياتنا التي كانت آنذاك.

مضيفا : ان هذا الفيلم مبني على أساس الفكرة والرسائل التي جاءتني من الأهل، وهي فكرة " تدمير وبناء " وعندما طرحت هذا المشروع بتلك التسمية ، وهذا يعني أن الإنسان بطبيعته يبني ويهدم، على مرور العصور، وحتى برج بابل الذي يمثل رمزا لحضارتنا بُني وهدم، هذه الفكرة أثارت انتباه المعنيين في السويد، فذهبوا إلى ألمانيا لتصوير بوابة عشتار النسخة الأصلية التي تحمل جميع الرموز وتاريخ الحروب التي حدثت آنذاك، وقد صورت كخلفية لمشروعنا، أما الجزء الثاني يتعلق بمشروع العمل الفني بالتحديد، ولان الفيلم باللغة السويدية فقد قام الفنان المحتفى به بترجمة فقرات منه للحاضرين قائلا : الجزء الأول من الفيلم هو صور من متحف برلين إلى بوابة عشتار التي تحمل تاريخ الحرب، والجزء الثاني في متاحف السويد، وهي محاولة ربط الماضي بالحاضر من خلال بناء حضارات وتهديم حضارات، وما حدث ويحدث الآن من عام ١٩٨٠، الى الآن يحمل الشيء نفسه ، وهي محاولة لربط الحقب الزمنية التي مرت على مر العصور .

وأوضح الفنان إبراهيم رشيد من خلال عرض الفيلم بعض النقاط المبهمة من خلال الترجمة لفهم هذه الحضارة العريقة وتبيان هذه الرموز الرافدينية التي تمثل القوة والعظمة والحرب، وبناء هذا البرج العظيم القريب من النهر.

وأضاف رشيد في شروحاته للوحات التي عرضت من خلال الفيلم أنها تمثل لحظة "الموت والحياة" وهي تثير تساؤلات عدة ، هل هي لحظة نوم؟ أو لحظة موت؟ أو لحظة استيقاظ؟ أو لحظة حب؟ او شيء من هذا القبيل؟

بعد قدم عدد من الحضور مداخلات حول بعض اللوحات وكان من أبرزها أفكار وأسئلة الناقد فاضل ثامر التي حاول فيها أن يوظف الإشارات الموحية في اللوحات وانعكاساتها على الرؤية البصرية للمشاهد أو المتقصي من خلال اللون والرمز.

الفنان ابراهيم رشيد من مواليد بغداد ١٩٥٧ درس في اكاديمية الفنون الجميلة وهاجر الى كندا في تسعينيات القرن العشرين حصل على الماجستير في العام ٢٠١٠ من كندا له العديد من الكتب والمنشورات كونه فنان واكاديمي يدرس في جامعات كندا والسويد لمادة الرسم والتخطيط والفن الانشائي له سيرة غنية وثرة لا يمكن اختصارها في سطور قليلة ، نتمنى ان تصبح العودة الى الوطن سمات هذه المرحلة للفنانين التشكيليين المغتربين